الدولة والأسرة بحلايب وشلاتين

اندماج أم استبعاد

محمد محمود خضر سعيد
جامعة مصر

ملخص

تعاني الأسرة المصرية بحلايب وشلاتين من تحديات خطيرة تغيب عن حكومة الدولة المصرية وتهملها، تم رصدها من خلال الزيارات الميدانية للمنطقة والتي تمثل بوابة مصر الجنوبية، وتقطنها عشائر بدوية متمثلة في قبائل العبابدة والبشارية، وهما فرعان من قبيلة البجا - ليتناول بالوصف والتحليل والتفسير التحولات الأسرية وتحدياتها المعاصرة التي تعاني منها داخل المجتمع الصحراوي الحدودي، وذلك من خلال دراسة النسق الإيكولوجي وعلاقته بتكوين الأسرة وتحولاتها المعاصرة، ودور المجتمع المدني في تثقيف الأسرة ورعايتها، مع تتبع العلاقات المتبادلة بين الأسرة والبيئة العامة بهدف رصد المشكلات الاجتماعية المتصلة بالأسرة بكافة أفرادها نحو التوصل لعلاجها في إطار نظري ورصد ميداني يقوم به الباحث، حيث أن المجتمع – موضوع الدراسة – قد تميز بالعزلة النسبية عن واقع المجتمع المصري لبعد المسافة والتكوين العرقي والتجذر القبلي. وسوف يتضمن الإطار النظري لهذا البحث؛ الفكر الاجتماعي للأسرة بحلايب وشلاتين بين الماضي والحاضر، دور الدولة المصرية ومجتمعها المدني بين الاهتمام والنسيان، ومدي تأثير ذلك علي الأسرة وتفككها وإصابتها بالعديد من المشكلات والعقبات

مقدمة :

دائماً ما توصف العلاقات بين مصر والسودان بالعلاقات الأزلية، و يحلو كثيراً للسودانيين التغني بمصر الشقيقة أختي بلادي، كما يلذ للمصريين مناداة السودانيين بأبناء النيل، فالنيل العظيم هو دائماً القاسم المشترك بين شطري شمال وجنوب الوادي، وماء النيل السلسبيل الذي يجري ويعبر السودان إلي مصر يشبه تماماً سريان الدم في الجسم، وفي هذه يتحد السودان بمصر ويلتحمان كما العلاقة في العروة الوثقي، فعلاقات الرباط التي تمتزج الأخوة القوية المصالح المشتركة بين الشقيقتين مصر والسودان و بالأحرى بين شعبي وادي النيل، هذه العلاقة الأزلية لم تخلو من وقت لآخر من بعض بؤر الشوائب السياسية حول منطقة حلايب وشلاتين كمنطقة نزاع بين الدولتين الجارتين، لكن الحنكة المصرية السودانية دائماً ما تتغلب عليها وتجعلها تمر كما سحابة الصيف[1]. ويتمتع أهل منطقة حلايب وشلاتين وأسرهم بجمال خاص، سمر الوجوه، طوال القامة، نحيفي البنيان، عيونهم غاية في الجمال، وأسنانهم غاية في البياض، طيبون يحيون على الفطرة، يعانون من أمراض صحية واجتماعية تصيب سكان البيئات الصحراوية وأسرها[2]. ويعد مثلث حلايب وشلاتين منطقة بكر مساحتها 20,580 كم2 تقع على البحر الأحمر وتوجد بها ثلاث بلدات كبرى هي حلايب وأبو رماد وشلاتين، أكبرها هي شلاتين وتضم في الجنوب الشرقي جبل علبة. وهى آخر نقطة على الحدود الجنوبية الشرقية لمصر على الحدود السودانية، تبعد عن القاهرة حوالي ألف ومائة كيلومتر وتمتد على ساحل البحر الأحمر بطول يزيد مائتي كيلومتر، تضم سلسلة جبال علبة الغنية بالخامات، فيها المحاجر والتعدين، وفيها محمية طبيعية بها وديان وغابات ونباتات طبية وحيوانات نادرة، وسلسلة جبال علبة[3]

1- ايليا أرومي، **إعادة النظر في (حلايب) نقطة الضعف في العلاقات السودانية المصرية**، القاهرة: مجلة الحوار المتمدن، العدد 275، ديسمبر2011.

2- ياسر العدل: **شلاتين أرض البكارة، القاهرة**،مجلة الحوار المتمدن، العدد 497، مارس2006.

3 - http://ar.wikipedia.org/wiki/مثلث حلايب.

إشكالية الدراسة بين التساؤلات والأهداف والمنهج: تعاني الأسرة المصرية بحلايب وشلاتين(*)من تحديات خطيرة تغيب عن حكومة الدولة المصرية وتهملها، تم رصدها من خلال الزيارات الميدانية للمنطقة والتي تمثل بوابة مصر الجنوبية، وتقطنها عشائر بدوية متمثلة في قبائل العبابدة والبشارية، وهما فرعان من قبيلة البجا

- ليتناول بالوصف والتحليل والتفسير التحولات الأسرية وتحدياتها المعاصرة التي تعاني منها داخل المجتمع الصحراوي الحدودي، وذلك من خلال دراسة النسق الإيكولوجي وعلاقته بتكوين الأسرة وتحولاتها المعاصرة، ودور المجتمع المدني في تثقيف الأسرة ورعايتها، مع تتبع العلاقات المتبادلة بين الأسرة والبيئة العامة بهدف رصد المشكلات الاجتماعية المتصلة بالأسرة بكافة أفرادها نحو التوصل لعلاجها في إطار نظري ورصد ميداني يقوم به الباحث، حيث أن المجتمع – موضوع الدراسة – قد تميز بالعزلة النسبية عن واقع المجتمع المصري لبعد المسافة والتكوين العرقي والتجذر القبلي. وسوف يتضمن الإطار النظري لهذا البحث؛ الفكر الاجتماعي للأسرة بحلايب وشلاتين بين الماضي والحاضر، دور الدولة المصرية ومجتمعها المدني بين الاهتمام والنسيان، ومدي تأثير ذلك علي الأسرة وتفككها وإصابتها بالعديد من المشكلات والعقبات، مع المعالجة النظرية كمفهوم ومقارنة، وأهم النظريات الاجتماعية المفسرة لإشكالية البحث، ونماذج التحولات الاجتماعية المختلفة، وكذلك النظريات الايكولوجية الرامية إلي تفسير علاقة الأسرة بالبيئة والأثر المتبادل بينهما، ثم تطبيق هذه النظريات علي المداخل المفسرة لإيكولوجيا الأسرة، مع رصد بعض نظريات الدولة، نحو طرح رؤية "ايكولوجية سياسية أسرية" لمنطقة الدراسة.

ويحاول البحث الراهن من ناحيته الإمبريقية الإجابة علي التساؤلات التالية: ما العواقب السلبية التي تترتب علي تخلي الدولة عن دورها مع التحولات والتحديات المتدفقة علي الأسرة بالمجتمع الحدودي بحلايب وشلاتين؟ ما تقييم أوضاع المرأة عند أسرتها من ناحية والدولة من ناحية أخري؟ ما دور المجلس المحلي ومنظمات المجتمع المدني في دعم هؤلاء النساء، بعيداً عن الندوات أو المؤتمرات التي لا يستطيع هؤلاء الوصول إليها والمشاركة فيها بسبب العادات القبلية الصارمة؟ ما سبيل الدولة نحو رفع معاناه الأسرة الحدودية من ظروفهم القاسية للغاية، والمعاناة من البطالة والعنوسة والأمراض والعنف الأسري..الخ ؟ ما أهم التشريعات التي ستتخذها الدولة وتحتاج إليها الأسرة الحدودية في المرحلة المقبلة؟ كيف يمكن إعادة دمج الأسرة الحدودية في المجتمع من جديد، والاستفادة منهم مع تقديم الدعم لهم؟ كيف يمكن مراعاة حق الأسرة في المجال السياسي ومراعاة البعد المكاني؟، مع الاعتماد علي الدراسة الوصفية للإطار الميداني، واستخدام منهجي "دراسة الحالة والمسح الاجتماعي بالعينة" لعدد من الأسر وعلاقتها بالدولة ووجهة نظرها في دورها بين الاندماج والاهتمام أو الاستبعاد والإهمال والغياب، واعتماد الدراسة علي(الإخباريين وعلي استبيان لمقياس التحديات الاجتماعية والأسرية) كأحد أدوات الدراسة المتصلة بمعوقات التواصل والاتصال بالدولة. مع تبنى بعض الدراسات السابقة عن قبائل البجا ومنطقة الدراسة في ثنايا كتب الرحالة مثل: ابن بطوطة، والقزويني، والمسعودى، والوطواط، أما الدراسات الحديثة، فقد ركزت علي الدراسات الوصفية ومنها علي سبيل المثال: دراستي (نادية بدوي) عن الزينة الشخصية عند العبابدة (1985)، وعن الفن عند قبيلة البجا (1992)، ودراسة (إبراهيم عبد الباري بدر) في موضوع التنمية البيئية لجنوب مصر، دراسة خاصة عن الجنوب الشرقي حلايب – شلاتين – أبو رماد (1996)، وكذلك أعمال ندوة (مثلث حلايب وشلاتين رؤية تنموية أسرية متكاملة) والتي عقدها معهد الدراسات والبحوث الأفريقية في (مايو 1997).

* تقع حلايب وشلاتين في المنطقة الحدودية الصحراوية شمال خط عرض 22° الذي يفصل بين مصر والسودان والتي تضم خمس قرى (مرسى حميرة - أبـرق - أبـو رمـاد - حلايب - رأس حدربة) يسكنها أبناء قبائل العبابدة والبشارية والرشايدة والذين يبلغ تعدادهم 28 ألف نسمة في عام 2013 طبقاً لبيان الجهاز المركزي للتعبئـة العامـة والإحصـاء المصري.

وتهدف الدراسة الراهنة نحو رصد بعض النتائج الأولية ومدي الاستفادة التي سوف تنالها الأسرة بحلايب وشلاتين ومنها: تنبيه الدولة بضرورة الاهتمام بالأسرة الحدودية في حلايب وشلاتين (اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً) والعمل على تنميتها وحل مشكلاتها وفك أزماتها المتراكبة بصفة عاجلة، وذلك عن طريق حصر وإعداد قائمة بالاحتياجات والمتطلبات والمشروعات العاجلة اللازمة لمنطقة حلايب وشلاتين وأبو رماد وسرعة تدبير التمويل اللازم لتنفيذ هذه المشروعات لإعطاء دفعة قوية لتنمية المنطقة تحقيقاً للتفاعل بين الأسرة والدولة وترسيخ قيم التنافس والعمل الجماعي والمشاركة إيماناً بأن التنمية المستدامة للأسرة بجميع مكوناتها بالمنطقة لا تتوقف عند كف العوز والإعانات ومحاربة الفقر والتي على أهميتها إلا أن التأهيل والتنمية يجب ألا يتوقف على المهارات المهنية والحرفية بل تتجاوزها للمهارات الاجتماعية والفكرية التي تضمن الاستجابة الأمثل لبرامج التنمية المخطط لها وإعادة تثقيفها وتهيئتها للاندماج في الدولة العازفة عن خدمتها.

ثانياً: الدولة والأسرة، رؤية في المفهوم والنظريـــة: رغم اختلاف الفلاسفة القدماء في توصـــيفهم للـــنظم السياســـية، وتفضيلهم لبعضها علي الآخر، إلا أنهم أكدوا علي أهمية وجود النظام السياسي. فهو رأس الدولة وعقله المـــدبر عنـــد أفلاطون، وهو عند أرسطو نظام يقيمه الأفراد الأحرار لتنظيم حياتهم وتحقيق الصالح العام وفق دستور محـــدد، وهـــو عند هيجل السلطة المطلقة التي تجسد الروح الكلية المقدسة، وهو عند ابن خلدون وازع تجســـده العصـــبية لاســـتمرار العمران وحفظه، وهو عند هوبز الأداة القهرية الرادعة لجشع الإنسان وسعيه نحو السيطرة علي الآخرين،وهـــي عنـــد ميكافيللي تعكس أرادة القوة والسيطرة بصرف النظر عن وسائل تلك السيطرة، وعند روسو تجسيد لـــلإرادة الجمعيـــة، وعند ماكس فيبر سلطة قانونية يخول لها استخدام القسر لتحقيق النظام والعدل، وعند ماركس (والماركسيين) أجهـــزة سياسية وأيديولوجية تحقق أهداف الطبقة البرجوازية، وهي عند المنظرين المحدثين مجموعة من الأجهزة التـــي تحفـــظ الاستقرار والحقوق وتنظم العلاقات بين قوي المجتمع المختلفة[4].

كما يري – أليسون جري – أن الأسرة لا تتوقف عن كونها وحدة بيولوجية إنما هي بناء اجتمـــاعي متكامـــل، معترف بها سياسياً وقانوني اًو وظيفيا، مع مراعاة الظروف الثقافية لكل بيئة اجتماعية، وهي المحددة لمعايير العلاقـــات الأسرية وأهميتها ومجالها العام لدي الدولة[5]. وأصبحت الدولة منظمةً لأفرادها, وإذا كانت التضحية بالنفس في ســـبيل أهداف الجماعة من السمات المميزة لأسرة الوصاية, فان مذهب النفعية أو اللذة هو ما يميز الأسرة النواة. وقد أصـــبح الزواج عقداً مدنياً, ومن أجل هذا يري زيمرمان أن الأسرة النواة فقدت المقدرة علي انجاز وظائف الأسرة الضـــرورية, ولم يعد بإمكانها إرضاء المتطلبات المتزايدة للفردية فضرورة تولي الدولة هذا الدور أصبح حتمياً. في حين أن الظروف التي تشجع على وجود الأسرة الممتدة: العزلة السياسية والجغرافية, وضعف نظام الدولة, وبعض الظروف الاقتصـــادية المحدد تمثل تربية قطعان كبيرة من الماشية والملكية الجماعية للأرض[6].

وإذا ما تناولنا الأسرة في ثلاث نماذج نظرية للدولة نجدها كتالي؛ الأسرة والدولة الاندماجية؛ الأســـرة والدولـــة التشاركية ؛ وأخيراً الأسرة والدولة التنموية:

1- الأسرة والدولة الاندماجية :يتوجه هذا النموذج النظري للدولة نحو رصد تكوين الأسرة وأهم الأدوار التي تلعبهـــا وإشكالية العلاقة بينها وبين الدولة الاندماجية، تلك الدولة الاندماجية التي تفترض وجود سلطة مركزية مسيطرة بالكامل

4- أحمد زايد: **الدولة والمجتمع المدني؛ إشكاليات العلاقة**، ورقة مقدمة في مؤتمر العلوم الاجتماعية الثالث تحت عنوان (المجتمع المـــدني والتحـــول الـــديموقراطي)، تحريـــر (محمد ولد الشيخ)، عدد 848، جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، 3 نوفمبر 2010م.

5- Alison Gray, **Susan Elliott; Family Structures,** Immigration Research Programme,Immigration Service, Te Ratonga Menene, New Zealand, July 2000, P 6**.**

6- مهدى محمد القصاص: **علم الاجتماع العائلي**، جامعة المنصورة، مطبعة كلية الآداب، 2008، ص ص 120-130.

على السلطة والثروة، وبوجود الضعف والقصور في منظومة الحكم الرشيد، فإن الحرمان والتمييز الاقتصادي لسكان المناطق البعيدة عن المركز، يصبح أشد مما يساهم في عدم الاستقرار السياسي، بالإضافة إلي أن الدولة الاندماجية تتركز السلطة فيها بأيدي عدد قليل من الأفراد، لذا فإن الديمقراطية بها ما هي إلا وسيلة لتهميش الحقوق السياسية لأصحاب الهويات الثقافية أو المذهبية الخاصة بل والمجتمع بجملته، كذلك فإن الدولة الاندماجية، المتصفة بالمركزية الشديدة والقصور في منظومة الحكم الرشيد، يتحول التمايز الاجتماعي الناتج عن النظام الرأسمالي الحر إلى تمايز مناطقي، حيث تتركز الثروة في أيدي عدد قليل من الأفراد الموجودين في المركز. لذلك يعاني سكان المناطق البعيدة عن المركز بالظلم الاجتماعي،والحرمان والتمييز الاقتصادي، مما يتسبب في عدم الاستقرار السياسي [7]. وهناك العديد من النماذج للدول الاندماجية التي وصفها العديد من المنظرين بأنها فاشية ونازية. وقد رأت - إليزابيث بيري – أن الأسرة وقواها الاجتماعية داخل الدولة الاندماجية بما فيها من جماعات المصالح المنظمة تنظيماً جيداً، والطبقات الاجتماعية المختلفة، والمجتمع المدني، وغيرهم، تداخلت في علاقة تشابكيه مع سلطة الدولة في الآونة الأخيرة [8]، بفعل التحولات التي شهدتها تلك الدول وما أصابها من تغييرات في نظامها السياسي، فبرز دور القوي الأسرية والعائلية في الدولة الاندماجية بشكل مؤثر، وقد اهتمت الدولة بالتعاون معها لإضفاء الشرعية علي تواجدها وتعزيز قوتها وغرس الولاء المجتمعي لها من كافة الأطياف المجتمعية، في محاولةً منها تجنيب أفراد الأسرة الانصهار مع قوي المعارضة المثيرة لمعظم الثورات الاجتماعية [9].

2- الأسرة والدولة التشاركية: تعتمد الدولة التشاركية علي سياسة ما يعرف بـ « الديمقراطية التشاركية» وفيها يجب أن يشارك المواطنون مشاركة مباشرة في وضع القوانين والسياسات، ويعرض المدافعون عن الديمقراطية التشاركية أسباباً متعددة لدعم رأيهم هذا؛ فالنشاط السياسي بحد ذاته يمكن أن يكون شيئاً قيماً لأنه يثقف أعضاء الأسرة ويجعلهم اجتماعيين، كما إن بإمكان الاشتراك الشعبي وضع حد للهيمنة، كما إن الأهم من ذلك كله حقيقة أن المواطنين لا يحكمون أنفسهم فعلاً إن لم يشاركوا مباشرة في صنع القوانين والسياسات[10].

وقد بدأ مفهوم الديمقراطية التشاركية يفرض نفسه شيئاً فشيئاً في الدول التشاركية بمضمون الخطاب السياسي منذ عدة سنوات، لدرجة أن المفهوم أصبح أشبه بـ "موضة"، وهو يشير إلى نموذج سياسي "بديل"يستهدف زيادة انخراط ومشاركة أعضاء الأسرة في النقاش العمومي وفي اتخاذ القرار السياسي، وتستهدف الديمقراطية التشاركية "دمقرطة "الديمقراطية، وذلك بتعزيز دور الفرد الذي ينبغي أن لا يقف عند حدود الحق في التصويت والترشح والولوج إلى المجالس المنتخبة محلياً ووطنياً، بل يمتد ليشمل الحق في الإخبار وفي الاستشارة، وفي التتبع و التقييم،أي أن تتحول حقوق المواطن من حقوق موسمية تبدأ مع كل استحقاق انتخابي وتنتهي بانتهائه، إلى حقوق دائمة ومستمرة ومباشرة، تمارس بشكل يومي وعن قرب من الأسرة وخارجها.

ولم تعد الديمقراطية التشاركية اليوم تلك اليوتوبيا التي داعبت أحلام الفلاسفة والسياسيين منذ قرون عديدة، بل صارت واقعاً فعلياً، يتجسد في العديد من التجارب المجتمعية والأسرية، لعل أهمها تلك التجارب التي شهدتها بلدان أمريكا اللاتينية، في خضم دينامية المنتديات الاجتماعية، وبشكل خاص تجربة مدينة " بورتو ألغري "، والتجربة– الفينزويلية - التي بلغت حد "دسترة " الديمقراطية التشاركية ،حيث تقوم المجالس الجماعية على مشاركة الأسرة في تدبير السياسة العمومية التي تهمها(صياغة،وتنفيذ، ومراقبة، وتتبع)،وفي– أوربا - تظل بعض الدول الإسكندنافية رائدة

7- محمد حسين حلبوب **: فشل الوحدة الاندماجية في ضمان الاستقرار السياسي**، صحيفة (النداء اليمنية)، تحرير (سامي غالب)، أغسطس 2009.

8- Joel S. Migdal And others**: State power and social forces**: domination and transformation in the Third World, Cambridge University Press, USA, 1997, P Viii.

9- Pierre Englebert: **State legitimacy and development in Africa**, Lynne Rienner Publishers, USA, 2002, P 99-100.

10- http://ar.wikipedia.org/wiki

في التأسيس لتجربة الديمقراطية التشاركية، علاوة علي – سويسرا - التي تتوفر على صندوق لدعم مشاركة الأسرة في لجان مجالس أحياء وفي الجمعيات،وقد تمخضت عموما عن مختلف هذه التجارب السياسية والمدنية، مجموعة من التدابير والآليات الهادفة إلى إقرار الديمقراطية في بعدها التشاركي مع الأسرة[11].كما يعبر- جويل مجدال–في رؤيته عن تكوين الدولة الحديثة حول حدوث تغييرات شاملة في النظريات التقليدية التي كانت تري الدولة هي فقط المهيمنة والمسيطرة علي مقدرات أمور المجتمع، باستخدام القانون والبيروقراطية والعنف.. وغيرها من وسائل الضغط وضبط المجتمع، حيث أحدث التغير الاجتماعي والسياسي في المجتمع - نتيجة شمولية العولمة علي المجتمعات المتقدمة والنامية علي حد سواء - في تنامي قوة المنظمات المستقلة والعائلية داخل المجتمع وبروز دورها – في الآونة الأخيرة بشكل فريد في تاريخ المجتمعات [12].

3- الأسرة والدولة التنموية: يعد مفهوم الدولة التنموية مرتبط في الأساس بدراسة دور الدولة مع أعضاء الأسرة بالمجتمع في التجارب الاقتصادية الناجحة في جنوب شرق آسيا، والدولة التنموية هي دولة منغرسة في المجتمع، تتمتع بدرجة عالية من الشرعية والروح الاندماجية والعلاقات الايجابية مع أعضاء المجتمع،والقدرة على الاحتفاظ بدرجة من الاستقلال، ويمكنها ذلك من قيادة المجتمع في إطار من العقلانية والرشد نحو تحقيق نهضة اقتصادية، ولذلك فإن الدولة التنموية تلعب دوراً مركزياً في المجتمع من خلال تبنى أيديولوجية تنموية تعتبر تحقيق التنمية والتقدم رسالة وهدفاً للدولة، وتتمكن الدولة التنموية من تحقيق هذه الرسالة عبر مركزية دورها وشرعيتها و كفاءتها في العمل، بحيث تكون قادرة على تنفيذ سياساتها وبرامجها بدرجة عالية من الكفاءة من خلال أعضاء المجتمع مع تنوعهم[13].وعلى الرغم من أن الدول التي أخذت بنموذج الدولة التنموية نجحت في تقدم شعوبها إلا أن هناك ملاحظات طالت هذا النموذج بأنها عنيت بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية على حساب التنمية السياسية،بيد أن هناك نقاشات واسعة تجرى الآن لا يتسع المجال لذكرها، وأن التقدم ما كان ليحدث ما لم تحدث انفراجات سياسية بدرجة أو أخرى[14].وهناك من ينطلق من القول بأن الدولة ليست شيئاً مجرداً لكي يؤكد أهمية وجود أسرة حاكمة مصممة على تحقيق التنمية على رأس البلاد، وتوفر بيروقراطية حكومية ذات كفاءة محصنة ضد الضغوط الخارجية،وإدارة فعالة للقطاعات والمصالح الاقتصادية غير الحكومية، إن هذه الشروط والمواصفات قد لا تشكل مادة جدل كبيرة في المجتمعات العربية، ففي أغلب الأوساط العربية هناك اعتقاد بأن الأسرة الحاكمة تلعب - إذا شاءت وإذا امتلكت الكفاءة اللازمة - دوراً رئيساً في التنمية[15].

هذا وتوجد محاولات رائدة لتحليل عناصر الدولة التنموية الناجحة من التجارب المستخلصة في بلدان شرق أسيا، التي اعتمدت التركيز علي استقلالية كل من مؤسسات الدولة من طرف،والأسرة من الطرف الآخر،علاوة علي التعاون بينها الذي تمخض عنه صياغة وتنفيذ إستراتيجية التنمية بعيدة الأمد، ومعالجة أشكال المشاركة الاجتماعية المتميزة، كل ذلك قاد إلي تحولات جذرية في مؤسسات الدولة، التي أصبحت حليفاً مع الجماعات المحركة والمحفزة للتغيرات الاقتصادية،ومع ذلك ظل السؤال مطروحاً، حول مدي انسجام هذه الأنظمة مع الأطر المؤسسية للديمقراطية،حيث تميل الأسرة في الأنظمة الشمولية-بدرجات مختلفة- إلى فرض استقلاليتها الذاتية، كما تحاول تحديد شروط التحالفات مع الجماعات الاجتماعية الأخرى، كما أن انفتاح النظام السياسي واستجابته للضغوط الاجتماعية،حيث أن الضرورات التنموية تستلزم استقلالية تستند على الرضي والقبول المتبادل باتجاهين:

11- فوزي بوخريص : **التسيير الجماعي ؛ بين الديمقراطية التمثيلة و الديمقراطية التشاركية**، 2010، في **(http://www.tanmia.ma/article).**

12- Joel S. Migdal: **State in society: studying how states and societies transform and constitute one another,** Cambridge University Press, UK, 2001, PP 7-112.

13- أحمد زايد ، **مرجع سابق**، ص 8.

14- سمير مرقس : **عن المستقبل ؛ دولة الرفاهة التنموية**، جريدة الشروق، الإسكندرية، ديسمبر 2010.

15- رغيد الصلح: **بين الدولة التنموية والدولة الديمقراطية**، علي موقع (http://www.nowlebanon.com) نوفمبر 2009.

الاتجاه الأول: يعتمد على قدرة الأسرة سياسياً صياغة وتنفيذ التحسينات الاجتماعية والاقتصادية.

الاتجاه الثاني: مدي استقلالية الوكالات والهيئات الإدارية المكلفة بتنفيذ هذه البرامج وفقا للتعليمات المرسومة وخضوعها لأشكال الرقابة السياسية والشفافية.وتتشكل الدولة التنموية – في الأساس - عبر تفاعل مقومات هيكلية ومؤسسية مركزية يمكن ترتيبها بأشكال مختلفة ضمن المجتمع الواحد؛ تبرز جلياً بالنقاط التالية:

1.النظام الاجتماعي الاقتصادي: وهو يُعني بمستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وطبيعة هيكلة الاجتماعي من حيث توزيعه الطبقي؛ الجنسي؛ القومي؛ الديني والثقافي.

2.المجتمع المدني: وهو يضم تلك الهياكل الإسنادية بالمجتمع،المرتبطة مع طبيعة وأبعاد النشاطات والفعاليات السياسية الاجتماعية الواسعة والمنظمة من قبل المواطنين أفرادا أو جماعات.

3.المجتمع السياسي: وهي تلك المؤسسات التي نشأت باعتبارها قنوات مشاركة سياسية، خصوصا هياكل وقواعد التنظيمات الحزبية[16].

وحول الدور الذي تلعبه الأسرة في الدولة التنموية ؛ أكدت – ميريلا بوجداني – أن الدولة التنموية القوية اليوم في ظل هذه التحولات التي تجتاح المجتمعات كافه ؛ يجب أن تساندها – بجانب السلطة الحاكمة التي تتميز بالمعرفة والثروة والسلطة والهيمنة –أسرة المجتمع الأكثر تعليماً ومعرفة وذات تطلعات واسعة نحو الطموح وقيمة الانجاز[17]. ونجد أيضاً - توماس هيبرير– يؤكد علي أهمية الدور الوظيفي الذي تلعبه الأسرة بجانب الدولة التنموية؛ حول قدرتها علي صياغة بعض المعايير السياسية نحو تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية[18]. فالأسرة في الدولة التنموية تلعب دور الفاعل الاقتصادي بشكل مستقل نسبياً؛ نحو تحقيق معدلات مرتفعة ومتواصلة من النمو الاقتصادي، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية هو هدف استراتيجي تسعى الأسرة إليه،من خلال المنظمات الأهلية[19]

ثالثاً: النسق الإيكولوجي بحلايب وشلاتين وعلاقته بتكوين الأسرة وتحولاتها المعاصرة:

تعد منطقة حلايب وشلاتين وأبو رماد من المناطق الصحراوية التي تحافظ علي عاداتها وتقاليدها، حيث يلتزم أهالي تلك المنطقة بحكم العرف عن طريق شيخ القبيلة، حيث يوجد في تلك المنطقة عديد من القبائل منها القبائل الأساسية وهي قبائل البشارية والعبابدة والأشراف، وهناك قبائل نازحة كقبائل الرشايدة، وكل قبيلة تنقسم إلي عدة بطون أو عشائر.

16- Mark Robinson, Gordon White: **The democratic developmental state: politics and institutional design,** Oxford University Press, USA, 2002, PP 17-50.

17- Mirela Bogdani, John Loughlin: **Albania and the European Union: the tumultuous journey towards integration**, I.B.Tauris & Co Ltd, London, 2009, PP 173-175.

18- Thomas Heberer: **Private entrepreneurs in China and Vietnam: social and political functioning of Strategic Groups**, Koninklijke Brill NV, Leiden, Vie Netherlands, 2003, PP 1-2.

19- Meredith Woo-Cumings: **The developmental state**, Cornell University Press, USA, 1999, PP 266-271.

ويتمسك أعضاء تلك القبائل بجنسيتهم المصرية بل ويعتزون بها، ويرجعون نسبهم إلي عبد الله ابن الزبير ابن العوام، وتعد قبيلة العبابدة من أشهر وأقدم القبائل في تلك المنطقة ولهذه القبيلة دور بطولي في صد عصابات البقارة، التي كانت تهجم علي الجمال، فأصبحوا حماه مصر علي بوابة الجنوب، ونشاطهم الأساسي الرعي وتربية الجمال، وهم بارعون في إرشاد القوافل التجارية وهم في تنقل دائم من مكان إلي آخر بحثاً عن الماء، وللرجل العبابدي زي خاص هو عربان العبابدة ويحمل في يده كرباج.أما قبيلة البشارية فقد استوطنت منطقة حلايب وشلاتين في تاريخ محدد يرجع إلي عام 1906 بعد أن جفت الأمطار في شبه الجزيرة العربية، فرحلوا منها إلي الجنوب أملاً في وصول الأمطار إليهم، ويرتدي البشاري الجلباب الأبيض وعليه الصدرية وتعلو رأسه عمامة بيضاء طويلة إلي حد ما، ويستخدم أبناء القبائل في تلك المنطقة السيف والخنجر في الرقص هذا بالإضافة إلي استخدامهم في الدفاع عن النفس.كما يتحدث أهالي المنطقة فيما بينهم لهجة " الرطانة " وهي لهجة تنطق ولا تكتب، هذا بالإضافة إلي إتقان غالبيتهم اللغة العربية. ويعد المشروب الأساسي لديهم والذي يدل علي اعتزازهم بالضيف هو مشروب " الجَبَنَة" وهو عبارة عن خليط بين اللبن والزنجبيل والقرفة والحبهان، وأن عدم تقديم هذا المشروب لأي ضيف دليل علي عدم رغبتهم في تواجده فيما بينهم. أما الطعام الأساسي لهم هو العصيدة والفتة وهي تلك التي يتم تجهيزها بالدقيق واللبن، كما أن هناك وجبة (السلات) وهي تشبه كثيراً طريقة عمل الكباب المعروفة لدينا. كما يعد الزواج لدي هذه القبائل غير مكلف، ولا يتم توثيق الزواج حيث أن الزواج بالإشهار فقط، وليست هناك شهادات ميلاد، ويميل أبناء هذه القبائل إلي الزواج المبكر، ويعشقون زيادة الأبناء، وكذلك الزواج الداخلي حيث يرددون في أقوالهم " القريب أولي من الغريب".

حيث تقع مدينة شلاتين على بعد 520كيلو متراً جنوب الغردقة يليها ابو رماد على بعد 110كيلومترات ثم حلايب 110كيلومتراًمربعاً. وتعد منطقة"شلاتين -حلايب - ابو رماد" من المناطق الغنية والمحتفظة بعاداتها وتقاليدها حتى الآن. ونجد ان أهالي تلك المناطق يلتزمون بحكم العرف فيما بينهم عن طريق "شيخ القبيلة"،وتتكون تلك المناطق من أعداد متنوعة من القبائل.ونجد ان كل قبيلة تنقسم الى عدد من العشائر، ولكل قبيلة شيخ يقوم بحكمها وادارة شؤنها، وتنسب كلاً من قبيلة البشايرة الى شيخها القديم "محمد على"،وقبيلة الاشراف تنسب الى حسن الشريف، وتعد الأسرة في تلك المناطق فقيرة صحياً وخدمياً واقتصادياً وثقافياً.

رابعاً: الفكر الاجتماعي للأسرة بحلايب وشلاتين بين الماضي والحاضر: تعد مدينة حلايب وشلاتين الصحراوية الحدودية - خط عرض 22–والتي تفصل بين مصر والسودان تضم خمس قرى (مرسى حميرة - أبرق - أبو رماد - حلايب - رأس حدربة) يسكنها أبناء قبائل العبابدة والبشارية والرشايدة والذين يبلغ تعدادهم 28 ألف نسمة، ويتمسك قبائل العبابدة والبشارية والرشايدة بجنسيتهم المصرية وهوياتهم الإسلامية. ويستقر أبناء قبيلة العبابدة في منطقة حلايب والشلاتين ليكونوا من أوائل السكان الأصليين، حيث يرجع نسبهم إلى عبد الله بن الزبير بن العوام من السعودية، العراق، الأردن، السودان، ثم مصر.وقبيلة العبابدة أشهر وأقدم قبيلة في المنطقة لها دور بطولي في صد حرب عصابات (البقارة) التي كانت تهجم على الجنوب فأصبحوا حماة مصر على بوابة الجنوب. ونشاطهم الأساسي الرعي وتربية الجمال وهم بارعون في إرشاد القوافل التجارية فهم لا يعتمدون على البوصلات أو مواقع النجوم في الإرشاد بل يعتمدون على اتجاه الرياح والشمس وهم في تنقل دائم من مكان لآخر بحثاً عن الماء والمراعي.أما قبيلة البشارية فقد استوطنت منطقة حلايب والشلاتين في تاريخ محدد يرجع إلى عام 1906 بعد أن جفت الأمطار في شبه الجزيرة العربية فرحلوا معها إلى الجنوب أملاً في وصول الأمطار إليهم، مما يؤكد أنهم من أهل منطقة المثلث الأصليين، ويرتدى البشارى الجلباب الأبيض وعليه الصدرية وتعلو رأسه عمامة بيضاء طويلة إلى حد ما، كما يعشق البجاوى السيف والخنجر وهو يستخدمهما في الرقص فضلا عن الدفاع عن النفس.أما قبيلة الرشايدة فهي قبيلة أخرى تعيش بعد

مدينة الشلاتين ب10 كيلومترات. يعتمد جميع أفراد الرشايدة على تجارة الجمال ما بين مصر والسودان مما ميزهم مادياً عن باقى أبناء القبائل. وكان أبناء حلايب والشلاتين ورأس حدربة يعيشون أعلى الجبال وأسفلها حيث عاش أفراد هذه القبائل فى تنقل دائم بين المرتفعات بحثاً عن الماء والمراعى لدوابهم وقد سكنوا هذه ا لجبال من زمن بعيد، وهم متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم التي غرسها فيهم آباؤهم وأجدادهم، ولكل قبيلة من القبائل عادات وتقاليد تختلف عن الأخرى. أما الآن ومع التوطين الذي قامت به الحكومة بمعاونة القوات المسلحة والوزارات المعنية ساعد على رسم شكل عمراني جديد في المنطقة راعى عادات وتقاليد أهالي المنطقة، ومن هذه العادات والتقاليد التي توجد في تلك المنطقة: إنهم يتشابهون في بعض العادات واللهجات "الرطانة"،المولود عندما يولد يقومون بعمل عقيقة أو أسبوع وتسمى لديهم"سومية" ويقومون بالاحتفال بذلك اليوم من خلال ذبح الذبائح ومشاركة الأهالي والجيران لهم، ويقومون بتسميته مع وضع أسورة في يده تتكون من مجموعة من صدف البحر، أما العلاقة بين الزوجين فهناك بعض الأسرار التي لا يتدخل فيها أحد غير الزوجين، أما إذا حدثت بعض الخلافات والصراعات بين الزوجين فهناك مجلس عرفي وذلك لحل الخلافات العائلية من خلال رضا الزوج لزوجته،ومن مظاهر الاحتفال بيوم العرس المبارزة واللعب بالسيف وذبح الذبائح ومشاركة الأهالي والجيران لهم حتى يتم عقد قرانهما ... وغيرها من العادات والتقاليد للأسرة الصحراوية.

خامساً: الدولة والأسرة بحلايب وشلاتين بين الاهتمام والنسيان: تعتمد الأسرة بالشلاتين وحلايب علي ساحل البحر الأحمر حيث الاستفادة به في صيد الأسماك والتجارة والسياحة، كذلك الرياح، ويمكن الاستفادة منها واستغلالها كمصدر للطاقة، كما توجد مساحات كبيرة من الأراضي القابلة للزراعة، وجبل علبة الذي يوجد به أكثر من 150 من النباتات النادرة, ويعيش به الغزلان ويعد محمية طبيعية ينبغي المحافظة عليها،وثروة حيوانية تتمثل في مراعي الإبل والأغنام والماعز، وثروات معدنية أهمها معدن الذهب، فضلاً عن كونها معبراً للتجارة بين مصر والسودان.

في حين تعاني الأسرة بحلايب وشلاتين مشكلات جمة بسبب إهمال الدولة ومجتمعها المدني لها، ومن أهم هذه المشكلات والعثرات ما يلي؛ انعدام الرغبة في التعليم نتيجة عدم إدراك أولياء الأمور بأهمية التعليم, ويفضلون العمل بالرعي والتجارة. كذلك انعدام الكوادر التعليمية لعدم وجود خبرات فيما بين المدرسين, حيث يري الأهالي أن المدرسين القادمون إلي هذا المجتمع هم مدرسين موصومين فضلاً عن أنهم لا يحملون أي خبرات بدليل رسوب الطلاب وعدم استيعابهم للمادة العلمية، كذلك تحول العديد من المنشآت إلي خرابه كمركز الشباب لغياب الكوادر البشرية، تشغيل الأطفال منذ الصغر في مهن الرعي والتجارة بل وعمليات التهريب والبحث عن الذهب، مع تفشي العديد من الأمراض كالأمراض الباطنة والسكر وعرق النسا والأسنان دون وجود طبيب متخصص، اعتماد فئة من السكان علي عمليات التهريب للبضائع الشرعية وغير الشرعية, حيث أن ذلك من طابع مناطق الحدود، عدم توثيق الزواج, حيث أن غالب الزيجات تتم بالإشهار. بالإضافة إلي أنهم منذ زمن قريب - حوالي عشرة سنوات - كانت لا توجد عندهم كهرباء فكانوا يستعملون الشمع والجاز للإضاءة، في حين أنهم لا يمتلكون أراضي وإنما تكون بمثابة وضع اليد (أي ليس لديهم أوراق رسمية تثبت ملكيتهم للأراضي).

سادساً: المرأة بحلايب وشلاتين بين الدولة والمجتمع المدني، تمكين أم انسحاب : المرأة في حلايب وشلاتين لا تخرج إلا نادراً ولكنها تشارك في الحياة السياسية التي تعاصرها، حيث ذهبت لتدلي بصوتها في الانتخابات التي تقررها الحكومة المصرية، وتنسحب بشكل يكاد يكون قاطع من العمل في المجتمع المدني أو المنظمات الأهلية. ولا يحق للرجل التعدي علي المرأة بأي وسيلة وإذا أساء الرجل للمرأة وكان لديها أطفال أصبح المنزل ملكاً لها ولأولادها، أما في حالة عدم وجود أبناء تذهب للمرأة إلي بيت أبيها ويتم الطلاق أو تعرض مشكلتهم علي شيخ القبيلة ويكون قرارها

ملزماً.وتشغل المرأة حيزاً اكبر في تلك المناطق حيث تتميز بالبساطة والأصالة وتحتفظ بعاداتها وتقاليدها في(الزى- الزينة- المشروب الرئيسي"الجبنة"- الأكلات الرئيسية "العصيدة، الفتة"). وتشترك المرأة مع زوجها في النشاط الاقتصادي الذي ينحصر في (الصيد- الرعي- التنقيب عن الذهب – التجارة).

كما تعاني المرأة بشكل كبير من المرض وقلة المياه وصعوبة الحياة هناك. حيث تتدفق النساء بكثرة إلى القوافل الطبية بشكل كبير جداً،بزيها الفضفاض ذا الألوان المتعددة المبهجة "التوب"، ففي مقابلتي بالسيدة فاطمة حيث ترتدي ذلك الملبس الفضفاض وتأتى إلى الوحدة الصحية وذلك لعلاج أبنائها الثلاثة "محمد- مصطفى-فاتن" وتعد أعمارهم متقاربة، وأنها من محافظة قنا وتبتعد عن السياسة أو التوعية أو مراكز التثقيف لأنه يناقض عاداتهم في ستر المرأة، وقد تزوجت من أحد أقاربها وانتقلت إلى شلاتين حيث يقطن زوجها ويعمل هناك،ويعمل موظف بشركة المياه، ولديه أخين وسبعة أخوات بنات. وهو ما يوضح حبهم لكثرة الأبناء ولا يريدون تنظيم الأسرة ويميلون إلى وجود العزوة. كما نجد أن المرأة الشلاتينية تلتزم ببعض العادات مثل تصفيف شعرها إلى ضفائر، ووضع حلقة مصنوعة من الذهب في الشعر تسمى "أشواني".

سابعاً: الأسرة بحلايب وشلاتينبين المجال السياسي والبعد المكاني: رغم العلاقات القوية التي ربطت بين مصر والسودان، فإن ثمة بعض حالات التوتر تنتاب هذه العلاقات، لكن تري الأسرة الحدودية الصحراوية أن تأكيد السودان على أن "حلايب وشلاتين" أراض سودانية، إلى رغبة البعض في ولاية البحر الأحمر السودانية الترشح في الانتخابات مستغلاً هذه المزايدات لاكتساب مزيد من الأصوات الانتخابية.

ومحاولة لابتزاز مصر سياسياً واقتصادياً، وهروب البشير من مشاكله الداخلية بافتعال المشكلات مع مصر، في حين يري البعضأن الغرب وراء هذه المؤامرات بهدف عدم استقرار الأوضاع بين البلدين.ويعد الاشتراك في الاستفتاء على الدستور المصري الجديد والتصويت في الانتخابات الرئاسية، آخر نشاط سياسي لسكان المنطقة. وتتفاوت آرائهم السياسية بين مؤيد ومعارض تبعاً لخلفيته الأيديولوجية وانتمائهم العرقي.

ثامناً: آليات الدولة نحو دمج الأسرة بحلايب وشلاتين في المجتمع العام: تسعي الدولة المصرية بشكل سريع وكبير نحو وضع آليات دمج الأسرة الشلاتينية في المجتمع العام لأنه جزءاً منه ونسيج واحد، من خلال إنشاء المدارس والمستشفيات ومراكز الشباب ودور الثقافة وغيرها لتعميق مبدأ الانتماء والولاء لدولتهم مصر.

و توجد بمدينة شلاتين مستشفى ووحدة بيطرية وفرع للبنك الأهلي المصري وسنترال ومحطة كهرباء ومحطة مياه وبعض المؤسسات الخدمية الأخرى.

تاسعاً: سبيل الدولة نحو رفع معاناة الأسرة الحدودية الصحراوية: يعاني مثلث حلايب وشلاتين وأبو رماد مشكلات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وأيديولوجية خطيرة تحاول الدولة التخفيف من حدتها عن طريق وضع الخطط

والاستراتيجيات الملائمة لحلها والقضاء عليها في إطار التطوير العام للمجتمعات الحدودية الصحراوية. إذ يعاني أعضاء الأسرة بالمثلث من تدهور صحي كبير، حيث لا يوجد لديهم مستشفيات مجهزة، مع ندرة الكوادر الطبية، إذ يوجد طبيب واحد فقط بالوحدة الصحية،وكلاسيكية الأجهزة الطبية، بالإضافة إلي الشكوى الكبيرة من سوء الخدمة الصحية، مع نقص حاد في الأدوية بكافة أنواعها، بالإضافة إلي ضعف الوعي الصحي العام، مما يؤدي إلي تفاقم الحالات المرضية وتوطن بعض الأمراض الصحراوية عندهم. مع وجودهم تحت الحرارة المرتفعة والبيئة الصحراوية المليئة بالحشرات الخطيرة والمياه غير الصالحة للشرب.كما توجد **مشكلات تعليمية** خطيرة تسعي الدولة القضاء عليها من خلال تحفيز الأسرة نحو الإقبال على التعليم، حيث أن نسبة التعليم مرتفعة في المراحل الأساسية وضعيفة جداً في المراحل الجامعية. ولكن التعليم الأزهري هو السائد في التعليم. في حين يؤكد شيخ القبيلة إن إقبال الأسرة إلي التعليم أفضل من أي وقت مضي لكن المشكلة في ضعف الكوادر التدريسية. كما أن **مسكنهم تقليدي جداً**، ومتناثرة في أرجاء المكان وهى عبارة عن بيوت من الخشب والسقف من الحديد المغطى بالخشب أيضاً، مع انتشار حيواناتهم حول البيت. من ثم أنشئت الدولة العديد من الوحدات السكنية لتكون بديل لمساكنهم التقليدية لكنهم هجروها وفضلوا بيوتهم الأصلية لأسباب قبلية وايكولوجية. كما يفضل الرجل العمل الحر علي العمل في الحكومة لأنه لا يحب التقيد بالروتين الحكومي، ويفضلون العمل في البحر ورعي الأغنام والإبل والتجارة بسيارته نصف النقل الصغير بين أنحاء المثلث.

نموذج لمساكنهم التقليدية (الصورة باليمين) ووحدات الدولة (الصورة باليسار)

خاتمة بأهم التوصيات:

1. تنبيه الدولة للمشكلات الخطيرة بالمثلث اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وأيديولوجياً وثقافياً وضرورة وضع حلول استثمارية لعلاجها والقضاء علي مسبباتها.
2. إنشاء كلية للتربية في مدينة شلاتين لتخريج مدرسين ينتمون إلي مناطق حلايب وشلاتين وأبو رماد, وذلك لحل مشكلة العجز في الكوادر التعليمية.
3. ضرورة توعية السكان بأهمية التعليم لبناء الإنسان المصري.
4. ضرورة توافر أطباء في مختلف التخصصات بالوحدات الصحية في مناطق شلاتين وحلايب وأبو رماد.
5. استغلال الموارد الطبيعية المتاحة من خلال إنشاء مصانع تعمل علي خلق فرص عمل للشباب وتعمل علي تنمية المجتمع.
6. الاهتمام بالوعي الصحي والتثقيفي للمرأة المصرية لتجنب الأمراض التي تصيب الأطفال.
7. التعرف علي الاحتياجات والمشكلات الصحية والتعليمية والخدمية لمجتمعات بالشلاتين وحلايب وأبو رماد ومحاولة اقتراح الحلول المناسبة لها.
8. إجراء الفحص الطبي علي المواطنين وتقديم العلاج اللازم للمرضي بمجتمع الشلاتين وحلايب وأبورماد والتعرف علي أهم الأمراض السائدة في تلك المجتمعات.
9. إجراء الفحص الطبي البيطري علي الحيوانات التي تعاني من الأمراض وعلاجها والتعرف علي الأمراض المنتشرة بينها.
10. إجراء المسح الاجتماعي لمجتمع الشلاتين وحلايب وأبو رماد للتعرف علي أهم موارد المجتمع والمشكلات الاجتماعية التي تواجه الشباب والمرأة المصرية واقتراح الحلول المناسبة لها.
11. التواصل الاجتماعي من أبناء الوطن وتعميق الانتماء والمشاركة في حل المشكلات الاجتماعية لمجتمع الشلاتين وحلايب وأبو رماد.